• عنوان المداخلة: **صحوة المغيلي وثورته ضد يهود تمنطيط**

أ. مبارك فضيلة
جامعة تيارت– الجزائر

ملخص:

الكلام عن توات كلام لا يوافيها حقها كونها تقلدت في العصر الوسيط بمهام حضارية خولتها من أن تلعب أدورا ثقافية وعلمية إضافة إلى الحركات النشطة التي عرفتها المنطقة في القرن الثاني عشر.

تمثل توات شجرة الحضارة الصحراوية لأنها ربطت بين الشمال والجنوب خصوصا في العصر الوسيط، فإقليم توات منبع الحضارة العلمية والثقافية والفكرية، توات موسوعة الحضارة وعماد العمارة، فمن بين المناطق المجاورة التي تأثرت بتلك الحركة العلمية التي شهدتها توات في القرن 18م منطقة الازواد هذه المنطقة التي عرفت نهضة علمية وحركة فكرية في عصر دولة «سنغاي» وما قام الإمام به محمد بن عبد الكريم المغيلي من نشر الإسلام والعربية وتنظير قواعد الدولة .

الكلمات المفتاحية: صحوة المغيلي؛ الثورة؛ يهود تمنطيط؛ دولة إسلامية.

مقدمة

الكلام عن توات كلام لا يوافيها حقها كونها تقلدت في العصر الوسيط بمهام حضارية خولتها من أن تلعب أدورا ثقافية وعلمية إضافة إلى الحركات النشطة التي عرفتها المنطقة في القرن الثاني عشر.

تمثل توات شجرة الحضارة الصحراوية لأنها ربطت بين الشمال والجنوب خصوصا في العصر الوسيط، فإقليم توات منبع الحضارة العلمية والثقافية والفكرية، توات موسوعة الحضارة وعماد العمارة، فمن بين المناطق المجاورة التي تأثرت بتلك الحركة العلمية التي شهدتها توات في القرن 18م منطقة الازواد هذه المنطقة التي عرفت نهضة علمية وحركة فكرية في عصر دولة «سنغاي» وما قام الإمام به محمد بن عبد الكريم المغيلي من نشر الإسلام والعربية وتنظير قواعد الدولة .

في كل ارض طيبة الأعراق يبعث الله سبحانه وتعالى شخصية متميزة، فذة بعقلها اللامع وعلمها الواسع وأخلاقها الفاضلة أن تصلح أوضاع دولتها وشعبها وأمتها، فبرز الشيخ بن عبد الكريم المغيلي كمصلحا ومفكرا وإماما ومنظرا في إقليم توات وأن يحارب يهود المنطقة نتيجة لإفسادهم في الأرض وسيطرتهم على التجارة. إن إرساء معالم الدولة الإسلامية النموذجية ومحاربة يهود تمنطيط كان هاجس لدى الكثير من السلاطين والملوك وسلاطين «سنغاي».

لقد حاول ملوك وسلاطين دولة «سنغاي» التي حكمت من1492/1591 ولاسيما الحاج محمد اسقيا من تثبيت قواعد صحيحة لقيام دولة إسلامية ذات ثقافة وحضارة ويتمثل ذلك في حرص هذا الأخير وطلبه من الشيخ محمد بن عبد الكريم تنظير أسس الدولة.

ومن هنا وجب أن نتساءل ونطرح الإشكالية المحورية التالية:

ما هي الدولة النموذجية التي نظر لها المفكر المغيلي؟ ما موقفه من يهود توات ؟ ما هي الإستراتيجية التي وضعها في محاربة يهود تمنطيط و فيما تمثلت الخلفية الإيديولوجية اليهودية في إقليم توات و كيف ثار المغيلي عليهم وهدم إيديولوجيتهم؟

1- المرجعية الإسلامية والفكرية للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي :

إن محاربة طبائع الفساد ومصارع الاستعباد لا تكون إلا بحرص الملوك والسلاطين بالتشجيع على جلب العلماء والمفكرين وهذا ما قام به محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الاجتماعي في عصره، إذ قام بعدت رحلات قصد التفقه والتعبد و الاطلاع على أمهات الكتب التي تتعلق بالآداب والدين وأسباب التنزيل والفقه والتفسير وغيرها بل «إن معظم هؤلاء الطلبة يعدون السفر في طلب العلم جهادا وعبادة يتقربون بها لله عز وجل ولهذا كثرت الرحلة في طلب العلم»[1].

شخصية المغيلي الفكرية تكونت بعد رحلة طويلة صنعت الغيلي الضليع الذي : «نبغ في التفسير والحديث والفقه والمنطق واشتهر بموقفه في قضية يهود توات وبرحلته إلى بلاد السودان اتصل أثناءها بالسلطان كانو وكتب له رسالة فيم يجب على الملوك كما زار بلاد التكرور وقام خلال رحلته بالحض على تغيير المنكر ونشر أحكام الشرع»[2] (2)

نبذة موجزة عن الشيخ عبد الكريم المغيلي وأهم آثاره:

هذه النهضة الثقافية والإسلامية وحتى الفكرية ساهمت في محاربة اليهود وإرساء الثورة الحضارية التي ظهرت خلال القرن 07 الهجري إذا كان اليونان يفخرون بفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو ومدى إسهاماتهم الفكرية والحضارية فإننا نحن في امتنا العربية الإسلامية وبالأخص في تاريخنا الثقافي نزخر بعلامة بارز متشبع بالروح العلمية والفكرية المعتمدة على علوم المنطق والحكمة في محاربة المكر اليهودي.

هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من مواليد099هـ/1503م عالم مشهور في الشريعة والحكمة من مواليد تلمسان تتلمذ على يد عبد الله يحي بن يدير وعبد الرحمان الثعالبي غادر تلمسان بسبب خلافه مع ملوك بني زيان فانتقل إلى مدينة تمنطيط والتي تعني بالعربية حاجب العين بتوات جنوب الجزائر واشتغل بالتدريس ثم ارتحل إلى غرب إفريقيا ونشر الإسلام وكان ينتمي إلى الطريقة القادرية فزار التكرو وكانو (بنيجيريا) واجتمع بسلطانها وألف له رسالة وكث بمدينة تنبوكتو والتقى بالسلطان محمد اسقيا وأجابه عن أسئلته في رسالة فرجع إلى توات وتوفى في سنة 909هـ.

---

[1] عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.س، ص 53.

[2] د. عبد الحميد حاجيات: الحياة الثقافية بالمغرب الاوسط في العصر السنوسي، مجلة الثقافة تصدر عن معهد الثقافة الشعبية بتلمسان، العدد 114، السنة 22، 1997، ص ص 25، 26

أهم مؤلفاته:

-البدر المنير في علم التفسير

-مصباح الأرواح في أصول الفلاح

-شرح مختصر خليل

-مفتاح النظر في علم الحديث

-شرح جمل الخونجي في المنطق

-وفهرست مروياته

إقليم توات منبر لمحاربة اليهود:

تمثل توات منبعا ومحطة للعلماء والزوايا كما كانت موقع استراتيجيا لأنها من أهم الأقاليم التجارية التي فتحت نقطة عبور بين الشمال والجنوب بل حتى مع الخارج : «توات عاصمتها تمنطيط من أهم الأسواق التجارية خلال العصور الوسطى وكذا مقصدا لمجموعة من العلماء الذين أقاموا لها الزوايا لتدريس علوم الشريعة الإسلامية ومن هؤلاء محمد بن عبد الله المغيلي والشيخ العصنوني والشيخ الكنتي وغيرهم»[1] .

سخط وثار المغيلي على اليهود المتواجدين بإقليم توات فمن المعروف على اليهود وتاريخهم أنهم يسعون دائما للفساد في الأرض وفي كل زمان ومكان ومنذ عصور القديمة جدا فلو نرجع قليلا إلى تاريخ الأديان نجد سيدنا عيسى عليه السلام تعرض لأذية اليهود وعدم تصديقهم بنبوءاته باستثناء الحواريون وحتى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام تعرض لمكر اليهود وزرعهم للفساد الذين يمتلكون قلقا وجوديا يهدف إلى الاستيطان والتعمير في الأرض لا إلى القلق المعرفي وباعتبار توات موقعا استراتيجيا هاما وكذا ازدهار الحركة التجارية فيها حاول اليهود المتواجدين فيها الاستيلاء على خيراتها بل حتى على الحكم وتعدى ذلك إلى كل المجالات غير أن المغيلي الفذ لم يسكت عن اليهود وسياستهم الخبيثة المشهورين بها : « ولم يرضى بتصرفات يهود توات الذين سيطروا على الاقتصاد والسياسة فحاربهم وخالفه في ذلك قاضي توات عبد الله العصنوني وأيده علماء كبار منهم السنوسي وابن زكري من تلمسان ومفتي تونس ومفتي فاس».

نفهم من هذا القول أن النشاط الواسع والناجح للتجارة الصحراوية وما أفرزته من أرباح جعلها نافذة مفتوحة على الكل مهما كانوا وبالتالي فالجانب الاقتصادي انعكس على الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية.

[1] - بشار قويدر وحساني مختار: فهرس مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، د.ط، 1999، ص 9.

الصحوة المغيلية وثورته الحاسمة ضد اليهود :

من خصوصية اليهود في العالم بأسره توظيف النفوذ المادي (الأموال الفاحشة) في الاستيلاء على الأوضاع وهذا ما فعلته الجاليات اليهودية كسياسة بتوات حيث استبدوا بصلاحية الملوك واستمالتهم لصالحهم، وتجدر بنا الإشارة إلى أن مالفانت الحنوي قد لاحظ قبل المغيلي بحوالي نصف قرن هذه الوضعية السياسية والاقتصادية الخاصة ليهود توات وتمنطيط وقال: «يتكاثر اليهود هنا (تمنطيط) وتسير حياتهم في سلم وظَلَ الرؤساء الذين يدافع كل واحد منهم على أتباعه ولهذا يتمتع اليهود بحياة سهلة وتسير التجارة بواسطتهم ويضع الكثيرون منهم ثقتهم فيهم»[1].

يسعى اليهود في كل الأقطار لتوظيف الدين اليهودي في كل مشاريعهم وشعاراتهم القائلة بأنهم شعب الله المختار ومن الأهمية بما كان الإشارة إلى مخطط اليهود المعمول به لنشر الصهيونية والمتمثل «تحويل الأمل في استرجاع الملك إلى إرادة مخططة فعالة وايجابية وقدمت الصهيونية نفسها على أنها حركة إلى بني إسرائيل في التاريخ»[2].

إن هذا الطرح يؤدي بنا استنتاج العقلية الصهيونية المتمثلة في المكر والخبث وهذا ما تفطن له الشيخ المغيلي وكشف الستار عن حقيقة يهودي متواجد في تمنطيط : «وجود يهودي متنكر في زي إمام مسلم أَمَّ المسلمين طيلة أربعين عاما وعندما افتضح أمره بواسطة المغيلي جمع حوائجه وحاول أن يفر فلاحقه المغيلي وتولى قتله بنفسه»[3].

إن اليهود يمتلكون قلقا وجوديا لا يراعون فيه حقوقهم وواجباتهم وحرياتهم وحرية غيرهم عبر القرون سيؤدي ذلك حتما لصراعات تهيمن على السياسة العالمية داخل كل حضارة وفيما بين الحضارات سعيا من كل حضارة إلى تلخيص نفسها من العناصر الأجنبية عنها وهذه هي الفاشية في أوضح صورة لها تسعى كل جماعة عرقية أو حضارة لتكريس نموها عبر استلهام الحتمية البيولوجية والتاريخية والدينية وحقها في أن تسود على ما عداها من جماعات وحضارات وهذا ما قام به يهود تمنطيط في البناء والتشييد قصد التعمير والبقاء وصحوة المغيلي بذلك : «اعتبر المغيلي ذلك مساسا بالشعور الإسلامي وكرامة المسلمين وتطاولاً على شعب توات المسلم واعتداء على سيادته الوطنية وآلَ على نفسه أن يقاوم هذا التطاول والاستعلاء اليهودي ويعيد اليهود إلى مكانهم الطبيعي كجالية يهودية في بلاد إسلامية»[4].

إن العالم منذ العصور القديمة حافل بمكر وخبث اليهود ففي العالم الإسلامي هناك نماذج كثيرة تبيّن ذلك مثل هارون اليهودي وشاويل اليهودي، «»ففي نهاية القرن السادس الهجري (سنة 595هـ)

---

[1] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.س، ص 73.

[2] إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية الدين اليهودي، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، 1988، ص ص2-3

[3] يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 74.

[4] يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 74.

والثاني عشر الميلادي عاقبهم يعقوب المنصور وفرض عليهم لباسا خاصا يتمثل في قميص طوله وعرضه ذراع وفي قلانس وبرانس زرقاء حتى يكونوا معروفين لدى الجميع ولا يقدرون على ممارسة خبثهم ومكرهم وخداعهم»[1](1).

تسييس قضية المغيلي وبعده الحضاري :

يتسلل هذا العنصر اكتشاف البعد الروحي والحضاري في شخصية المغيلي وردة فعله القوية والعنيفة ضد يهود تمنطيط عندما هدم بيعتهم وخبوها إذ جعل إكرامية لكل من يسانده في الأمر: «وعد كل من يقتل يهوديا معارضا بإعطائه سبعة مثاقيل ذهبية فغضب اليهود وحقدوا عليه وصاروا لا يسلمون عليه وعلى أصحابه عندما يمرون عليه واخذوا يشيعون بعض الأقاويل ضده فاغتاظ أصحابه من ذلك وقاموا برد الفعل فهاجم المدعو مبروك بن احمد جمعا من اليهود في واحة تاخفيف وقتل واحدا منهم»[2].

إن مسالة تسييس قضية المغيلي من طرف المغاربة يجعلنا نقول بلغة عصرنا أن الحساسية المفرطة بين الدين والسياسة تؤدي إلى توضيح مهمة السياسة التي ارتبطت دوما بالاستيلاء على السلطة وبصراع المصالح وهذا ما يسمى باللغة الفلسفية بجدل السياسة والدين الذي استفز الكثير من الباحثين والمثقفين وكان إشكالية العلاقة بين الدين والسياسة تمحورت في عصر المغيلي الذي تعرض لتهمة الطموح السياسي أو السلطوي وفي هذا الإطار: «فلا تتوقف السلطات السياسية عن التلاعب بالرموز الدينية لتبرير أعمالها وان الإسلاميين من جهتهم يرتكزون على نفس القاعدة لاعتراضهم على هذه الأنظمة والمطالبة بإقامة دولة إسلامية طبقا للشريعة وبالتالي يصبح الديني هو الذي يملي قانونه على السياسة»[3](3).

إن تعليقنا على هذا ومن خلال تهمة المغيلي أنه صاحب إيديولوجيا سياسية يجعلنا نقول أن فحوى العلاقة بين السياسة والدين يجب أن تؤسس على أسس ابستمولوجية وعلى عقل سياسي واعي كما يجب أن نتعامل مع الدين كمرجعية ثابتة مطلقة بريئة لا كدين كما يفهمه أصحاب السياسة كونها رائدة الاختلاف وكلما كان هناك اختلاف كانت فرقة والدين برئ من هذا كله وهو ما يثبت النوايا الحسنة للشيخ المغيلي كمفكر ومصلح وثائر.

إفشال مشروع يهود توات والنظير لدولة إسلامية:

---

[1] الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس، د.ط، 1966، ص 16.

[2] يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 78.

[3] عبد الرحيم المشيسي: السلطة والدين في نظر الإسلام، مجلة معالم، (الدين الأخلاق والسلطة)، مجلة شهرية، العدد 2، 1929، ص ص 127- 128.

الحس الفاسد لليهود مكنهم من استغلال الضعف السياسي للدولة آنذاك هذا ما ذهب الأفغاني: «إن ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيتشرية (الدهرية) في صورة الدين وسريان هذه السموم القاتلة في نفوس أهل الدين الإسلامي»[1].

إن هشاشة و ضعف نظام الحكم مدعاة لكثرة الفتن والتخاذل هذا جعل اليهود يستغلون ذلك ويتواطئون مع الأمراء بحيث يمد اليهود الأمراء بالمال والمؤونة بينما يتنازل الحكام لصالح اليهود بالولاية وبناء البيعات مما يفتح المجال لتقوية نفوذهم .

لكن هيهات أن ينال اليهود مبتغاهم مع نخبة رائد ة كمغيلي الذي افشل مشروعهم وذلك باستشارة كل العلماء من تلمسان وفاس وقام بهدم بيعة اليهود، فالمغيلي كشف مبكرا وله الفضل في النوايا الخبيثة لليهود والمتمثل في إرساء دولة يهودية وهذا حلمهم الأكبر بحكم أنهم تقلدوا وظائف متعددة وهامة فمثلا في المغرب الإسلامي حاول اليهود مثل ابن النغريلة الذي حاول تفريق وتشتيت رجلات البيت الزيري في غرناطة معتمدا على سياسة فرق تسد حتى ينفرد بمقاليد الحكم وهذا في غياب حاكم مسلم قوي الشكيمة قادر على السيطرة الفعلية ومن هنا يمكن القول: «حاول اليهود في الأندلس إقامة دولة يهودية قاعدتها المرية بتواطؤ مع ابن صمادح غير القاعدة الشعبية أفسدت هذا المشروع، بالثورة بمدينة غرناطة واستطاعت قتل العقل المدبر لهذا المخطط الذي مازال يحيط به الغموض»[2].

فساد هذه الأوضاع وكشف حقيقة اليهود جعل المغيلي ينظر لدولة ذات معالم إسلامية يحكمها حاكم كفء ولقد خص هذا الموضوع كتابا اسماه «الإمارة» وبالتالي لا مجال لليهود لأنهم في نظر الجميع أصحاب مكر و خداع فالمغيلي لم يتخذ ذلك الموقف إلا بعد أن رأى ما عليه اليهود: «من التعالي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان»[3].

فالمغيلي له بعد حضاري واضح تجلى في رسم معالم الدولة الإسلامية ونظامها ومحاربة اليهود لان نفوذهم قد تعاظم ««فوجه جهده نحو أهل الذمة ناقما عليهم تداخلهم مستنجدا بالعلماء باسم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يقول سنوسي»[4].

هكذا رسم المغيلي بإرادة الله وقصده الطيب الدولة الإسلامية وثورته الحاسمة على يهود تمنطيط فقد أيده علماء كثر : « ورافق أهل الظاهر والباطن، الإمام السنوسي والتنسي رأي المغيلي على ما بلغناه من أمرها واستنصر المغيلي لهما وبالعناية الربانية على جلاء اليهود»[1].

---

[1]- معمد عبده، الثائر الإسلامي، جمال الدين الأفغاني ورسالة الرد على الدهريين، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، د.س، ص 167.

[2] مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.س، ص 275.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 54.

[4] المصدر نفسه، ص 55.

والمغيلي لم يرضى بما كان سائدا في وقته فهو الثائر على تلك الأوضاع إنه فيلسوف زمانه ورجل سياسي من الطراز الأول : «فكان يتدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية ليس في المغرب فحسب بل في افريقية جنوب الصحراء أيضا»[2].

الخاتمة:

وفي ختام هذه المداخلة نقول أن المغيلي كان يمتلك واعيا حضاريا وفكريا مكنه من إفساد مشاريع اليهود وتطويق مخططاتهم الخبيثة، إن امتلاك الشيخ المغيلي لهذه المناعة الثقافية تجعلنا نقول أنه طرح مسالة الإصلاح في سياقه الصحيح وعلى كل المسارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وقد لا نبالغ حينما نقول أن الشيخ المغيلي توفرت فيه شروط الإصلاح من جهة الرؤية التاريخية للإصلاح القائم على وجود شخص مصلح له خصائص و صفات أسطورية تفوق الخلق قدرة واستطاعة حينما تنبه لمكر يهود تمنطيط وإفشال مشاريعهم.

وخلاصة القول إن الواقع الإسلامي المعاصر يعاني من الأزمات و حروب وصراع الحضارات وكذا التوترات السياسية والأزمات الأخلاقية التي ورائها اليهود نحتاج إلى فكر مثل المغيلي يحفز العقول ويحركها ويحررها ويدفعها إلى الإصلاح و التعامل مع القضايا بكل جدية من اجل إعادة استئناف الحضارة الإسلامية لدورها التاريخي واستعادة موقع الأمة الإسلامية كأمة وسط شاهدة على العالميين.

قائمة المصادر والمراجع:

1 – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

2– إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية الدين اليهودي، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، 1988.

[1] فرج محمود فرج: اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، د.س، ص 206.

[2] أبو القاسم سعد الله: مصدر سابق، ص 69.

3- بشار قويدر وحساني مختار: فهرس مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، د.ط، 1999.

4- د. بوعمران الشيخ وفريق من الأساتذة: معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب الجزائر، د.ط، 2000.

5- د. عبد الحميد حاجيات: الحياة الثقافية بالمغرب الاوسط في العصر السنوسي، مجلة الثقافة تصدر عن معهد الثقافة الشعبية بتلمسان، العدد 114، السنة 22، 1997.

6- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس، د.ط، 1966.

7- عبد الرحيم المشيسي: السلطة والدين في نظر الإسلام، مجلة معالم، (الدين الأخلاق والسلطة)، مجلة شهرية، العدد 2، 1929.

8- عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.س،.

9- فرج محمود فرج: اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، د.س.

10- مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.س.

11- معمد عبده، الثائر الإسلامي، جمال الدين الأفغاني ورسالة الرد على الدهريين، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، د.س،.

12- يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.س.